

على درب المعرفة الباطنية

## "كتاب الانسان"

# الحكماء يصبحون معلميك

انقضى نصف عمر الارض ومعظم سكانها ما زالوا في جهل روحي

لا يعرف القارىء اسماءهم، انما يلتقي احد تلاميذهم، السيد جوزف وهو مجدلاني، الذي قدم للكتاب كما قدم له السيد موسى برنس. وللتلميذ رأي مهم في معلميه عندما يتحدث عنهم قائلاً: لقد خاضوا الحرب مع النفس الدنيا، وسيطروا على الشهوات، ونلوا عنف الرغبات فكانت لهم الغلبة، وكانت السيادة. واحاديثهم العلمية الباطنية الحياتية القيت على مجموعة من طلاب محدودي العدد.

يقول السيد مجدلاني: "كنت من القليلين الذين كان لهم شرف الاستماع

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر؟ سؤال طرحه محي الدين بن عربي (1170 - 1240) المتصوف الانكليسي نتيجة تأملاته ودراسته لعمق ذاته بعدما "اتخذ دليلاً لحياته النور في قلبه لا في الشريعة". ويبقى هذا السؤال الجواب شاغل الانسان الاكبر منذ وعيه الوجود. و"كتاب الانسان" الذي يكاد يكون فريداً في المكتبة العربية، يجيب عن تساؤلات الانسان في الغاية من الوجود، من خلق الانسان، في المادة والروح الخ. والمساهمون في تأليف الكتاب مجموعة من المعلمين الحكماء،

"كتاب الانسان" من المؤلفات  
الفريدة في المكتبة العربية (دار  
جوكار للنشر) فهو يبحث، باقلام  
مجموعة من المعلمين الحكماء،  
في التساؤلات المصيرية  
الاساسية ويعطي اجوبة عنها.  
حياة ابو فاضل طالعه وكتبت  
هذه الكلمة:

العالم، لان المادة باحت لهم بكل خفاياها واسرارها، وطأطأت جيروتها امامهم، لانها باتت تحت سيطرتهم. لا احد يدرك ما توصلوا اليه، لكننا ندرى ان ما من مستحيل لديهم".

### الاستمتاع لا التملق

انن المعلمون مميزون، قدراتهم غير قدرات الناس العاديين. ولم تكن تعليمهم فقط موضوع دراسة التلاميذ، بل طريقة حياتهم كانت مدرسة في ذاتها. وماذا كانوا ينتظرون من تلاميذهم؟ "لا يرغبون طلاباً عقلاء فقط، بل انسانيون لتطبيق التفكير علمياً في الحياة، فنتمكن تدريباً من السيطرة على المادة ونحن نتمتع بها، غير منغمسين فيها ولا منجرفين في تيارها، مهملين جوهرها او هاربين منها او منعكفين بعيداً عن العالم البشري. والتطرف في كلتا الحالتين مرفوض. وهم يطلبون الاستمتاع في المادة لا التعلق بها، والاستمتاع بالجواهر والتشبث به، "حتى اذا نقت ساعة الانتقال نكون قد تمتعنا بالحياة ضمن المستطاع، وبذلك لا نندم على شيء قد يعطل مسيرتنا لتتميم الحياة الأخرى في الجوهر الذي اختبرناه روحياً وعرفناه عقلياً".

ثم يتكلم السيد جوزف مجدلاتي عن مفهوم الحكيم او المعلم الحقيقي: "هو من لا يتقاضى أجراً عن تعاليمه وأفعاله، بل يرفض اي عمل يحد من نشاطات عطائه، وتعاليمه وأفعاله هي العطاء نفسه، ذاك الذي يكون من القلب الى الذين يستحقونه. هو الذي يفتح الروح من نبذات كيانه، ويصفي القلب الى صمته أكثر من العقل الى كلامه. وتكمن هجة المعلم الحقيقي في اختياره طلابه بنفسه، لا العكس، لانه يتوق الى من يكمل، بلا بلل، مهامه في الاجيال الصاعدة. ويرفض المعلم اي طالب يطمح الى الدراسة الروحية وسيلة لغاية مادية انانية، تهمل الهدف السامي المرجو منها، الا وهو الخير والمحبة. اما النتيجة المادية فثانوية.

### غاية الخلق

بعد المقدمة الشيقة الشارحة علاقة التلميذ بالمعلم على درب المعرفة الباطنية، ينتقل القارئ الى الأجزاء الأولى من الكتاب: غاية الرب من خلق الانسان. "جاء الانسان من الابدائية وينتهي الى اللانهاية، وهبه الله من نفسه روحاً، شعاعاً من نور، لا واعياً. جاء الانسان الى الارض جوهره خاماً لتتمثل بالدرس والعلم ومنها تنبع

المعرفة والحكمة. لقد اراد الرب الانسان ان يتطور من عارف لا واع الى عارف واع... الى اله اهل للاتصام اليه". الآتي الى الحياة انن كما الذاهب الى المدرسة، والهدف من المعرفة: الاتحاد بالخالق.

كيف بدأ الانسان؟ "في البدء كان جسم الانسان كروياً، ليناً، وبدأ مع الزمن يجف ويقتسو ويتشكل حتى استوى الى ما هو عليه الآن. في البدء كان لا يعي نفسه، ثم اكتسب الحس والشعور والوعي وكل الصفات الانسانية ليطور حياته على الارض. وعى ان عليه ان يطلب المعرفة ليعود الى مصدره عارفاً، وادرك جيداً ان حياته على هذه الارض لكسب هذه المعرفة". وطريق المعرفة الباطنية هي طريق التفتح العقلي الباطني التي تقود الى معرفة اسرار النفس وماهية الروح التي هي حقيقة وجود الانسان.

وسار الانسان على درب المعرفة وتمكن من العودة والانماج بالخالق واعياً بعدما خرج منه لا واعياً. لكن البعض حاد عن الطريق القويم بسبب تغلب اغراءات المادة على الروح. اتجه الى (الانا) يمجدها فكانت له مصدر تعب. وشقاء. ونسي متطلبات الروح ففقد التوازن. يقول المعلمون: "لقد انقضى نصف عمر الارض تقريباً، وما يزال السواد العظيم من سكانها يتخبط في الجهل الروحي، محجوباً عن الفهم، بعيداً عن المعرفة". والحل لهذا الركود في التطور نحو الكمال يكمن في ان يعي الانسان وجوب تغيير اتجاهه الى طريق الروح عبر المادة، لا ان يتخلل عن المادة فيمنى الروح على حسابها.. ولا ان يهمل الروح في سبيل المادة.

### القائد

من يقرر الطريق الصحيح في الانسان؟ من هو القائد في الانسان؟ ويجب المعلم: "قائد الانسان هو الانسان نفسه. يحوي النفس العليا التي تلتقط الايجابيات وترفض السلبيات. كما يحوي العقل الايجابي الذي يميز بين الخير والشر. ويحوي المعرفة التي تضم الحقيقة فتسير الانسان نحوها. ويحوي الحكمة التي تمثل قانون الخير العام. كما يحوي المحبة غير المنحازة التي تجعله يحكم بالعدل ويتجه نحو ملكوت الرب".

انن ما يبحث عنه الانسان في رحلته الحياتية يكمن في داخله لا في الخارج. يقول الحكماء: ان الحقيقة تكمن في داخل الانسان ومن بحث عنها في نفسه

وجدنا: معرفة وحكمة ومحبة. والانسان اله اذا ما روض رغباته وصارع شهواته ووعى نفسه. عندها يعي الكون والله فيعود من حيث اتى واعياً ليندمج باللانهاية هدف كينونته.

ورحلة المعرفة تبدأ "عندما يغذي الانسان وعده وفق حاجات جسده في سبيل العيش الضروري، نون التعلق بها او الأخذ باغراءاتها. بذلك يسيطر على رغباته ويتحكم بفرائزه، ومن ثم يسعى في اتجاه العلوم الباطنية والمعرفة الروحية. من هنا تبدأ مسيرة الفهم الصحيح لاستيعاب الزواجية فيه، فينطلق صعداً في طريقين متوازيين: طريق الروح وطريق المادة".

وهذه الزواجية هي صميم حياة الانسان على الارض. "انها الروح والجسد، الانا الجزئية في الانا الكلية، والانا الكلية في الانا الجزئية. الايجابيات والسلبيات، المحبة والبغض، الجهل والمعرفة، الإيمان والكفر. وهناك أيضاً زواجية الحيوان في الانسان، والانسان في الاله، ذلك الانسان الذي يتخبط في ظلمات الجهل والاله الذي يفتتح على النور والمعرفة. الا ان مصير الانسان هو الاحدية لان الانسان الذي يحوي الكون ويحويه الكون، والكون ويحوي الرب ويحتويه الرب، مصيره الاتحاد به روحاً دون مادة، معرفة دون جهل، محبة دون بغض، شمساً مشرقة ابداً في كل زمان ومكان".

### باب يعد باب

تبدأ الطريق في التوفيق بين حاجات المادة في الانسان وحاجات الروح دون التنكر لاحداها. ثم تأخذك الطريق لتفتتح لك باباً بعد باب على المعرفة. وماذكرته في هذا العرض الموجز "كتاب الانسان" لا يتعدى بعض ما جاء في الجزء الاول منه، انتقيته من بين اجزاء الكتاب الاربعة كنموذج لمستوى التعاليم داخل صفحاتها الفنية، الواغدة باجابات مصيرية عن اسئلة القارئ الذي وجد نفسه على طريق المعرفة دون مرشد قريب او بعيد، او تتوق نفسه الى المعرفة ولم يعرف الطريق بعد. فالمعلمون الحكماء يصبحون معلميه من على صفحات كتاب جديد على المكتبة العربية، في زمن تمهق فيه الروح الى ما يخفف اضطرابها وغربتها بعدما سيطرت المادة على كل نوافذ الحياة البشرية وتسلطت على الاجمل في الانسان فأضحت جاهلاً بقيمة وجوده خارج قبضتها الشرسة.